

الفصل السادس

في غرائب اطعمتها

فمن ذلك النيدة وهي بمنزلة الخبيص حمراء الى السواد وهي حلوة لاني الغاية وتخذ من القمح بأن ينبت ثم يطبخ حتى يخرج نشاء وقوته في الماء، ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلي، ثم يذر عليه الدقيق وينقع ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمى نيدة البوش، وقد يطبخ ذلك الماء وحده حتى ينقع من غير دقيق وتسمى النيدة المهودة وهي اعلى من الاولى واعلى

ويختصون ايضا باستخراج دهن نزر الفجل والساجم والخس، ويستصحبون به ويعملون منه الصابون، وصابونهم رطب أحمر وأصفر وأخضر وبه شبهت الصابونية واليه نسبت

وأما أطبختهم فالخوامض منها والسواذج هي المهودة أو قريبة من المهودة، وأما الحلويات فغريبة وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات وسبيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمي في الجلاب ويلقى عليه بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو نزر رجلة أو ورد ويطبخ حتى ينقع ثم يتبل ويرفع وتسمى هذه الاطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية وست المنوية التي تعقد بنزر الرجلة لسوادها ويتفننون في ذلك تفننا يحتاج الى شرح أكثر من هذا

وأما الحلويات المتخذة من السكر فأصناف كثيرة يؤدي استقصاؤها الى الخروج عن الغرض ويحوج الى وضع كتاب مفرد، وقد يتخذ منها ما يصلح لمداواة الامراض ولأرباب الحمية من المرضى والناقمين اذا تآقت أنفسهم الى الحلوى، فمن ذلك خبيص البقطين وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل وناقراص العود وناقراص الليمون والاقراص الممسكة وغير ذلك، وكثيراً ما يستعملون الفستق في أطبختهم وحلوائهم عوض اللوز وهو مما يفتح سدد السكب، ويتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق وهي لذينة جداً مسمنة وموادها لحم دجاج مسلوقة منسرجة وجلاب جزمان ومثل ثمن الجميع أو تسعة فستق مقشور مهروس وكيفية عمله أن يمسح اللحم المنسرج بالسيرج ويجعل باليدست بحيث يشم النار ويسكب عليه الجلاب ويضرب حتى ينقع ثم يلقى على الفستق ويضرب حتى يختلط ثم يرفع

ومن غريب ما يتخذونه رغيف الصينية وصفته ان يؤخذ من الدقيق الحواري ثلاثون رطلاً بالبغدادى ويعجن مع خمسة أرطال ونصف سيرجا عجن خبز الحشكان ثم يقسم بقسمين ويبسط أحدهما رقيقاً في صينية نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرها نحو أربعة أشبار ولها عرى وثيقة ثم يعي على الرغيف ثلاثة أخرفه مشوية محشوة الاجواف باللحم مدقوق ومقلو بالسيرج والفسق المهروس والافاوية العطرة الحارة كالفلفل والزنجبيل والقرفة والمصطكى والكزبرة والسكر والهيل والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك ثم يجعل على الخرفان وبين خلالها عشرون دجاجة وعشرون فروجا وعشرون فرخاً بفضه مشوى محشو بالبيض وبعضه محشو باللحم وبعضه مطبوع بماء الحصرم أو بماء الليمون أو بنحو ذلك، ثم يشور بالسنبوسك والقماقم المحشوة باللحم وبعضها بالسكر والخلوى وبعضها وإن شئت ان تزيده خروفاً آخر تتخذة شرائح فلا بأس وكذا جناياً مقاولاً، فإذا نضد ذلك وصار كالفتة نضج عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك وعود، ثم غطى بالقسم الثانى من العجين بعد أن يمد رقيقاً ويلحم بين الرغيفين كاللحم الحشكان بحيث لا يخرج منه نفس أصلاً، ثم يقرب الى رأس التنور حتى يتماسك عجينه ويبتدىء فى النضج حينئذ ترسل الصينية فى التنور بعراها رويداً رويداً ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح بأسفنجه فيرش عليه ماء ورد ومسك ويرفع للأكل . وهذا الصنيع يصلح ان يحمل مع الملوك وأرباب الترف الى منضدياتهم النائية ومنزهاتهم النازحة فانه وحده جملة فيها تفضل سهل الحمل عسر التشعث جميل المنظر مشكور المخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة

وأما عوامهم فقلما يعرفون شيئاً من ذلك، وأكثر أغذيتهم الصبر والصحناء والدليس والخبز والنيدة ونحو ذلك وشرابهم المزر وهو نبيذ يتخذ من القمح، ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد فى الصحارى والغيطان عند انحطاط النيل ويسمونه سماني الغيط، وبالصحيد قوم يأكلون الثعابين والميتات من الحير والدواب، وبأسافل الارض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الاخضر، وبدمياط يسكثر أكل السمك ويطبخ بكل ما يطبخ به اللحم من الرز والسماق والمدققات وغير ذلك

آخر المقالة الأولى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين

المقالة الثانية وهي ثلاثة فصول الفصل الاول

في النيل وكيفية زيادته واعطاء عطل ذلك وقوانينه

أعلم ان نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الارض وذلك في شمس السرطان والاسد والسنبلة، فيملو على الارض ويقم أيا ما فاذا نزل عنها حرثت وزرعت، ثم يكثر الندى في الليل جداً وبه يتعدى الزرع الى ان يحصد ، ونهاية ما تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانى عشرة ذراعا فان زاد على ذلك فانه يروى أمكنة مستعملة وبانه نافله وعلى جهة التبرع ونهاية ما يزيد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فنفتوت زراعتها ويور من البلاد بما عادته أن يزرع نحو مما روى مما عادته أن يشرق ولنسم الثمانية عشرة نهاية الضرورى ولنسم العشرين نهاية الافراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقايلها . فابتداء الضرورى ستة عشر ذراعا ويسمى ماء السرطان إذ عنده يستحق الحراج ويدوى به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار ما يحان أهل البلاد سننهم جمعاً مع توسع ويروى سائر البلاد المعتادة بالرى بما زاد على ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة ، وهذا يقل بمقدار ما يمر أهل البلاد سنتين فصاعداً ، وأما ما نقص عن ست عشرة ذراعا فيروى به ما هو دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة سننهم ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست عشرة ذراعا

وحينئذ يقال أن البلاد قد شرقت ، واشتقاقها من قولهم شرقت الشمس إذا لمعت وظهرت ، وشرقت اللحم إذا نشرته ليحجف ، ومنه قيل أيام التشريق لأن لحوم الأضاحى تشرق فيها أى تبسط ، ومنه أيضاً قولهم شرق بالماء وبالشراب لأن الماء عند الاغتصاص وانسداد الحلق يظهر ويبرز ولا يابح ، ولما كانت الارض في السنة التى يوفى نيلها بارزة لا يسترها الماء ولا يخفيها الغمر قيل شرقت ولم تتغط ولم ينلها النيل ويجوز ان يكون التشريق ربح شرقية لأن الريح الشرقية والقبلية وهى الجنوب هما عندهم دليل نقص الماء وسببه والغربية البحرية وهى الشمال هما عندهم دليل الزيادة وسببها، فيكون معنى قولهم شرقت البلاد أى كثر هبوب الرياح الشرقية حتى نسفت الماء وأظهرت الأرض ثم سميت الارض شرقية باسم الريح

وجهت على شراقي نال كرسى وكراسى ويختى ويختاتى . وأما النيل فهو فعل من نال نال نيلا ومن نال ينول نولا ، يقال نولته تنويلا ونلته نولا اذا أعطيته ، والنيل اسم ما ينال مثل الرعى للمصدر والرعى لما يرعى وليس هذا من غرضنا ولكنه أمر عن فقلنا فيه

ففى نقص عن الست عشر ذراعا فهو ابتداء التفريط المقابل للأفراط ، وكنا قد سبقنا فى الكتاب الكبير سنى الأفراط والتفريط منذ الهجرة الى سنتنا هذه ، وأما هنا فأنما تقتص ما شاهدنا على ما شرطنا

واتفق أن زيادة النيل بلغت ست وتسعين وخمس مائة اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعاً، وهذا المقدار نادر جداً فإنه لم يبلغنا منذ الهجرة الى الآن أن النيل وقف على هذا الحد قط إلا فى سنة ستا وخمسين وثلاثمائة فإنه وقف على دون هذا المقدار بأربع أصابع، وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع فإنه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع فإنه وقع نحو عشرين مرة، وأما خمس عشرة ذراعا فأكثر من ذلك كثيراً ونحن نسوق أحوال زيادته فى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وخمس مائة ثم ندبج ذلك بما حصل عندنا من علل ذلك وقوانينه فنقول أن العادة جارية أن تبتدىء الزيادة من أبيب وتعظم فى مسرى وتتناهى فى توت أو باب ثم تنحط. فدخل أبيب فى هذه السنة وابتدأ النيل يتحرك بالزيادة وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد بدت فى مائه خضرة سلقية ثم كثرت وظهرت فى راثحته ذفرة كريهة وعفونة طحلبية كأنه عصارة السلق اذا بقى أياماً حتى يعفن وجعلت منه وعاء ضيق الرأس فعلاه سحابة خضراء فرفعتها برفق وتركتها تجف اذا بها طحاب لاشك فيه ويبقى الماء بعد رفع هذه السحابة غير صافياً لا خضرة فيه إلا أن طعمه وريحه باقيان وتجدد فيه أيضاً أجساماً صفراء نباتية مبعوثه كالحباء ولا ترسب وصار أرباب الحية يتجنبون شربه وإنما يشربون ماء الآبار وأغليته بالنار ظناً منى أنه يصلح بذلك كما وصى الاطباء أن يفعل بالمياه المتغيرة فزاد طعمه وريحه كراهة وسهكا فوجدت عليه ذلك ان الاجزاء النباتية التى هى مبعوثه فيه ياطف الطبخ جوهرها فيختلط بالماء اختلاطاً أشد عن الأول فيظهر التغير فى ريحه وطعمه أكثر ويصير ذلك بمنزلة الماء اذا

طبخ فيه سلق أو فجل أو نحوه فان النار تمزج بين الماء ولطيف النبات، وأما الماء الذى يصلح بالطبخ وإياه قصد الاطباء فهو الذى تغيره بمخالطته أجزاء أرضية فانها تنفصل عنه بالطبخ لأن الماء حينئذ يلطف فترسب فيه

ثم أنه دامت خضرته أياماً من رجب وشعبان ورمضان، واضمحلت في شوال، وكان يصحب الخضرة دود وحيوانات وهذا التغير في الماء يكون بالصعيد أكثر لأنه أقرب الى المبدأ والمعدن، وانتهت زيادته في الحادى عشر من توت الى اثنتى عشرة ذراعاً واحدى وعشرين اصبعاً ثم انحط. وورد في شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويأتمس عوضه وذكر فيه أن مطرهم في هذه السنة ضعيف وأن النيل قليل المد لذلك

وكنا اقتصرنا في ذلك الكتاب حال النيل في هذه السنة وفي السنين الخوالى رجاء أن نعثر على نسب بينها واعراض لها نقف منها على المتجددات من أحوال النيل في سنى الزيادة وسنى النقصان، فيمكننا مقدمة المعرفة وأخذ الالهة والانذار بالحوادث المتوقعة، فان أقباط الصعيد يزعمون أنهم يتكهنون على مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن ينجمونه في ليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجدونه قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل، وقوم يتكهنون من حمل النحل، وقوم من تعسيل النحل

فرايت في الغالب من حال القاع اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة في تلك السنة أقل من المعتاد هذا حكمه الا كثرى فان أتت الخضرة في أول زيادته وقبيلها قوى الظن بضعف جريته فان طال أيام الخضرة وضعف مقدار الزيادة قوى الظن جداً بقلته فان دامت الخضرة في أييب أذن بقلة المدوعال هذا ظاهرة أما كون قلة القاع دليلاً على قلة الزيادة فلا لأن المطر الذى هو علة الزيادة ينبغى أن يكون فيه من السكثرة ما يرد القاع الى الحالة المعتادة يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لا تنفى بها أمطار كل سنة ولا توجد كل وقت، مثاله ان القاع اذا كان ذراعاً مثلاً فينبغى ان تكون الزيادة خمس عشرة ذراعاً حتى يبلغ ماء السرطان فان كان القاع ست أذرع احتاج من الزيادة الى عشر أذرع وكون هذا أيسر من الاول وأيضاً فان جرية النيل الاصلية مادتها عيون وأما زيادته فمادتها أمطار

ونقصان العيون دليل على احتراف السنة ويبس الهواء وقلة البخار فيقل المطر لذلك، وأيضاً فإن المدا الزائد على القاع أكثره في الغالب ثلاث عشرة ذراعاً فإذا كان القاع ذراعاً أو ذراعين ثم زاد عليه أكثر المد وهو ثلاث عشرة ذراعاً لم يلحق ماء السرطان

وأما كون الخضرة دليلاً على قلة الزيادة، فلأن النيل الماضى يغادر نقائع وغدرانها بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن ويأسن، فإذا مرت بها أمطار ضئيفة اختلطت بها وصبت إلى النيل ولم يسكن فيها من الكثرة ما يغلب على النقائع فيصلحها بل النقائع تغلب على الأمطار المتصلة بها فتحيلها إلى الفساد وينحط منها مقدار بهد مقدار ويتواصل البناء، ولما كانت الأمطار أضعف وأقل كانت أيام جرى الخضرة أطول فإذا كانت أمطار قوية غسلت تلك المستنقعات وغلبت عليها وحورتها بسرعة مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفي منظرها، ويتعفى أثرها. وأيضاً فإن الانهار الخارجة من جبل القمر تجتمع بأخرى إلى بركة عظيمة ذات مساحة فسيحة ومن هذه البركة يخرج هذا النيل، ولا شك أن هذه البركة ملؤها دائم فيطحلب ولا سيما شطوطها وضحاها فإذا وقع الوسمى وجرى إليها سيوله أثارت مافى قعرها وحركت ما كان ساكناً فيها وانكسح أيضاً مافى الشطوط إلى الأوساط وأنسجت إلى حمل الجرية فاستصحبته، وأما كون الخضرة في أبيب دليل النقصان فلأن أبيب مظنة الزيادة وغلبة الماء على هذه الأوشاب فإذا بقي على خضرته أبان زيادته آذن بقلته، وهذه الأجزاء النباتية التي تصحب الماء إنما هي حطام النبات المتسكون في الماء وحوله كالبردى والديس والسمار المطحلب وغير ذلك فتعفن فيه وتصفّر أجزاءه وتنبت معه، ومما يوجب انبعاشها أيضاً نقصان الماء من تلك البركة فإن ماؤها إذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها وراسبها وإذا كانت غمرأ كانت الجرية من أعلاها وصفوها فاعرف ذلك. ولهذا لا تأتي هذه الخضرة إلا في السنة التي يحترق فيها النيل ولما كان احتراقه أشد كان ظهور الخضرة أكثر وفي السنة التي يكون نيلها غمرأ لا يحترق لا ترى الخضرة لأن كثرت له لكثرة مبدئه وارتفاع جريه عن مقر كدورته فإذا اجتمعت هذه الدلائل كلها أو جلها في سنة فظن ظناً قوياً بأن الزيادة

قليلة فيها فهذه فائدة هذا الاقتصاص، وفيه فوائد آخر منها ان من يأتي بعد إذا
اضافه الى ما يشاهده يوشك أن يعثر منه على مناسبة أو دلالة أخرى على مقدار
الزيادة والنقصان في كل سنة، ومنها ان أصحاب الاحكام النجومية اذا تأملوا المدد
التي بين النقصانات والزيادات واعتبروا أحوال السكواكب والاقترانات فيها
وطوالع مصر وبلاد السودان وأرباب الولايات فيها من السكواكب ومزجوا
ذلك أمكن ان تقوم لهم بما يتسدرر صورة تجريبية في مقدار الزيادة والنقصان
فاني الى الآن لم أر لمنجمي مصر بذلك عناية، ولم أجد عندهم ما تسكن اليه النفس
سوى كسر ولا ينبغي على أصل

فانه بهذا الطريق استخراج معظم أحكام النجوم وذلك أنهم شاهدوا حوادث
أرضية تقترن بنصبات فلكية وحرثات علوية ورصدوا ذلك فالفوه يتكرر ففسبوا
تلك الحوادث الى تلك الهيئات والنصبات فصاروا متى عثروا في تسييرهم لحرثات
الاشخاص العلوية على مثل تلك النسبة والهيئة حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة
ويروى عن أهل التجربة من قدماء الاقباط أنه اذا كان الماء في اثني عشر يوماً
من مسرى اثنتي عشرة أصبعاً من اثنتي عشرة ذراعاً فهي سنة ماء والا فالما نائص،
ورأيت بعض من شرح الشجرة لبطليمرس ذكر في تفسير الكلمة الأخيرة التي
يقول في أولها النيازك تدل على جفاف الابخرة فاذا كان في جهة واحدة دلت
على رياح تعرض في تلك الجهة واذا كانت شائعة في الجهات كلها دلت على نقصان
المياه واضطراب الهواء وعلى جيوش تختلف فقال هذا المفسر أني لا ذكر في سنة
تسعين ومائتين ان الشعب بمصر انتثرت وعمت الجوبأسره فارتاع الناس ولم تنزل
تسكن فلم يمض لذلك جزء من السنة يسير حتى ظلم الناس وبلغ نيل مصر ثلاث عشرة
ذراعاً واضطرب الناس اضطراباً زالت به دولة الطولوني من مصر وانتثرت في
سنة ثلثماية من سائر جهات الجوب فنقص النيل أيضاً ووقعت همرجات واضطراب
في المملكة، وهذه لعمرى دلائل قوية ولكنها عامة لجميع الاقاليم وليست خاصة
بمصر فقط. على أنه أيضاً قد وقع هذا الحادث بعينه في سنتنا هذه من تناسل
السكواكب في أولها ونشيش الماء في آخرها وتغير ملك لمصر فيها بعينه الملك
العاقل بعد حرب كانت بينهما

الفصل الثاني

في حوادث سنة خمس وتسعين وخمسة مائة

ودخلت سنة سبع مفرسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار وأقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع والنزوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد أيدى سبا ومنرقوا كل ممزق ، ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت ، وعند نزول الشمس الخلل وبنى الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والاروات ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صغار بنى آدم فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة بأحراق الفاعل لذلك والآكل ورأيت صغيراً مشوياً في قفة ، وقد أحضر الى دار الوالى ومعه رجل وأمرأة زعم الناس أنهما أبواه فأمر باحراقهما

ووجد في رمضان ومصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم ، فأكل وبقى قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم ، ومثل هذا أعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة ، وكذلك كل من أثر الاطلاع على علم التشريح ، وحين ما نشم الفقراء في أكل بنى آدم كان الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاعاً لامره وتعجباً من ندوره . ثم اشتد قربهم اليه وضرواتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطبة ومدخرا وتفننوا فيه . وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له

ولقد رأيت امرأة يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه ، وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم وليس فيهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبي منهم أشد وما ذلك إلا لكثرة تكرره على احساسهم حتى صار في حكم المألوف الذى لا يستحق أن يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك بيومين صديبا نحو الرهاق مشويا وقد أخذ به شابان أقرا
بقتله وشبهه واكل بعضه

وفي بعض الليالي بعد صلاة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير
فبينما هو الى جانبها اهتبلت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيا
وحكى لي عدة نساء انه يتوثب عليهن لاقتناص اولادهن ويحامين عنهن بجدهن

ورأيت مع امرأة فطيم لحيا فاستحسنته واوصيتها بحفظه ، فحكيت لي انها بينا
تمشى على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو
الارض حتى ادركها فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان بهم بكل عضو يظهر منه
أن يأكله وان الولد بقي مدة مريضاً لشدة تجاذبه المرأة والمفترس ، وتجد أطفال
الفقراء وصديبانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس منبئين في جميع اقطار البلاد وازقة
الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار
ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في الندره واذا لم يحسنوا التحفظ

واكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه الا النساء أقل حيلة
من الرجال واضعف عن التبعاد والاستتار . ولقد احرق بمصر خاصة في ايام يسيرة
ثلاثون امرأة كل منهن تقرر أنها اكلت جماعة ، فرايت امرأة قد احضرت الى الوالى
وفي عنقها طفل شوى قضربت اكثر من مائتى سوط على ان تقرر فلا تكبر جوابا .
بل تجدها قد انحلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت على مكان

واذا احرق آكل اصبح وقد صار مأكولا لأنه يعود شواء ويستغنى عن طبخه
ثم فشافهم اكل بعضهم بعضا حتى تفانى اكثرهم ، ودخل في ذلك جماعة من المياسير
والمساكين منهم من يفعله حاجه ومنهم من يفعله استطابة . وحكى لنا رجل أنه كان
له صديق ادقع في هذه النازلة فدعاه صديقه هذا الى منزله ليأكل عنده على ما جرت
به عادتهما قبل ، فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين أيديهم
طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز فرا به ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة
مشحونة برمم الادمى وبالحكم الطرى فارتاع وخرج فارا

وظهر من هؤلاء الخبثاء من يصيد الناس باصناف الحبال ويحتلبونهم الى
مكائهم بأنواع الخاتل ، وقد جرى ذلك لثلاثة من الاطباء ممن ينتابني ، اما احدهم
فان أباه خرج فلم يرجع ، واما الاخر فان امرأة أعطته درهمين على ان يصحبها الى

مريضها فلما توغلت به مضايق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فانزكت دوهيمها، واما الثالث فان رجلا استصحبه الى مريضه في الشارع بزعمه وجعل في أثناء الطريق يصدف بالكسر ويقول اليوم يغتم الثواب ويتضاعف الاجر ومثل هذا فليعمل العاملون، ثم كثر حتى ارتاب منه الطبيب ومع ذلك ففسن الظن بقلبه وقوة الطمع تجذبه، حتى أدخله دارا خربة فزاد استشعاره وتوقف في الدرج وسبق الرجل فاستفتح نخرج، اليه رفيقه يقول له هل مع أبطائك حمض صيد ينفع، نخرج الطبيب لما سمع ذلك، والقي نفسه الى اصطبل من طاقة صادفها السعادة فقام اليه صاحب الاصطبل يسأله عن قضيته فاخفاها عنه خوفا منه ايضاً، فقال قد علمت حالك فان أهل هذا المنزل يذبحون الناس بالحيل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خواني يملؤة بلحم الادمي وعليه الماء والملح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجذب أن يهزل الناس ودان جماعات من الفقراء قد آووا الى الجيزة وتستروا بيوت طين، يتصيدون فيها الناس وفطن لهم وطلب قتلهم فهربوا، ووجد في بيوتهم من عظام بنى آدم شيء كثير، وخبرني الثقة الذي وجد في بيوتهم اربع مائة جمجمة وعماشاع وسمع من لفظ الوالى ان امرأة اتته سافرة مدعورة تذكر انها قابلة وان قوما استدعوها وقدموا لها صحناً فيه سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فالفته كثير اللحم، مباينا اللحم المعهود فتقرزت منه ثم وجدت خلوة بذت صغيرة فسألته عن اللحم، فقالت انها فلانة السمينه دخلت لتزورنا فذبحها أبى وها هي معلقة ارباً، فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أنابير لحم فلما قصت على الوالى القصة أرسل معها من هجم الدار وأخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه في خفية بلثمائة دينار ليحقق بذلك دمه

ومن غريب ما حدث من ذلك، ان امرأة من نساء الاجنلا ذات مال ويسار كانت حاملا وزوجها غائب في الخدمة وكان يجاورها صعاليك فشمت عندهم رائحة طبخ فطلبت منه كما هي عادة الحبالي فالفته لذيذ آفاستزادتهم، فزعموا أنه نفذ فسألته عن كيفية عمله فاسروا اليها أنه لحم بنى آدم فواطأتهم على ان يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطا فلما تكرر ذلك منها فضريت وغلبت عليها الطباع

السبعية وشي بها جواربها خوفاً منها فمجم عليها فوجد عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فخبست مقيدة وأرجى. قتلها احتراماً لزوجها وابقاء على الرائد في جوفها

ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة أو في الهذر، وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظاهره وإنما هو شيء صادفناه اتفاقاً بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالي فانه يجد منه أصنافاً تحضر مع أناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجد في بعض الايام قدر فيها عشر أيدي كما تطبخ أكارع الغنم ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الاطراف مطبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصاء

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبالتهم شيخ كتبي بدين من يتبعنا الكتب فافلت بجريئة الذن. وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع في حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس فخاض من الوهق وله حصاص وأما من خرج من أهله فلم يرجع اليهم فخلق كثير؛ وحكى لي من أتق به أنه اجتاز على امرأة تجارية وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهي تأكل من أفخاذها فاسدر عليها فرحمت أنه زوجها وكثير ما يدعى الآكل ان المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بان قالت انما هو ولد ابنتي وليس بأجنبي مني ولان آكله أنا خير من ان يأكله غريبى

وأشبه هذا كثير جداً حتى انك لا تجد أحداً في ديار مصر الا وقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء في خدورهن

وعما شاع أيضاً نبش القبور وأكل الموتى وبيع لحهم وهذه البلية التي شرحناها وجدت في جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلاً ذريعاً من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخبرني بعض أصحابي وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك. وأعجب ما حكى لي أنه عاين رؤس خمسة صغار مطبوخة - ٥ - البغدادى

في قدر واحدة بالتوايل الجيدة . وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فاني وان كنت قد أسهبت اعتقد اني قد قصرت

وأما القتل والفتك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية ، وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرتصون الاجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم ، وظفر الوالي منهم بجماعة فقتل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا ان الذي خصه دون رفقاءه ستة آلاف دينار

وأما موت الفقراء هزالا وجوعا فأمر لا يطيق عمله إلى الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالاتموزج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر

فالذي شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخض ذلك ان الماشي أين كان لا يزال يقع قدمه أو بصره على ميت ومن هو في السياق أو على جمع كثير بهذه الحال ، وكان يرفع عن القاهرة خاصة إلى الميضاة كل يوم ما بين مائة إلى خمس مائة ، وأما مصر فليس لموتاه عدد ويرمون ولا يوارون . ثم بأخرة يحجز عن رءسهم فبقوا في الاسواق بين البيوت والدكاكين وفيها الميت منهم قد تقطع وإلى جانبه الشواء والخباز ونحوه وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة إلا ماشاء الله ، وبعضهم انجلى عنها اللهم إلا الأمهات والقرى السكبار كقوص والاشمونين والمحلة ونحو ذلك ، ومع هذا أيضا فلم يبق فيها إلا محلة القسم وان المسافر لير بالبلدة فلا يجد فيها نافع ضربة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين ، بعضهم قد رم وبعضهم طرى وربما وجد في البيت أثاثه وليس له من يأخذه

حدثني بذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر قال احدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا في الارض ولا في السماء فتدخلنا البيوت فالفينا اهلها كما قال الله عز وجل « جعلناهم حصيداً خامدين » فتجد ساكن كل دار موتى فيها الرجل وزوجته وأولاده قال ثم انتقلنا إلى بلد آخر ذكر لنا انه كان فيه اربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتى قبلها في الخراب ، وان الحائك في بير جا كسته ميت واهله موتى حوله ، فحضرني قوله تعالى « ان كانت الا صبيحة واحدة فاذا هم خامدون » قال ثم انتقلنا إلى بلد آخر فوجدناه كالذى قبله ليس به انيس وهو

مشجعون بموت اهلها قال، واحتجنا الى الإقامة به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتي بما سألنا الى النيل كل عشرة بدرهم، قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترفع لحوم أهلها

ومن عجيب ما شاهدت اني كنت يوماً مشرفاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا في نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتصدى لرؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر وفي غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا اشلاء الموتى في الخليج وسائر الشطوط كما شهبها ابن حجر باناييش العنصل وخبرت عن عياد بفرضة تنيس أنه مر به في بعض نهار أربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر المملح وأما طريق الشام فقد تواترت الاخبار أنها صارت مزرعة لبني آدم بل محصرة وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان طلابهم التي صحبتهم من منجلاهم هي التي تأكل فيهم

وأول من هلك في هذه الطريق أهل الحرف عندما اتجمعوا الى الشام وانتشروا في هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى اتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا كل ممزق

وكثيراً ما كانت المرأة تملص من صبيتها في الزحام فيتضورون حتى يموتوا وأما بيع الاحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسنة بدرهم معدودة، وعرض على جارينان مراهقتان بدينار واحد، ورأيت مرة أخرى جارينتين احدهما بكر ينادى عليهما باحد عشر درهما

وسألني امرأة ان اشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فهرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيراً ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خاق عظيم ووصل سبيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك

وأعجب من جميع ما اقتصصناه ان الناس مع ترادف هذه الايات عاكفون على أصنام شهوراتهم لا يرعون منغمسون في بحر ضلالتهم، كأنهم هم المستثنون. فمن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجراً ومكتسباً ومنه عهدهم بهؤلاء النسوة حتى ان منهم من

يزعم أنه افتضى حسين بكراً ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالسكسر
وأما خراب البلاد والقرى وخراب المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة
التي اقتضتها وناهيك أن القرية التي كانت تشتمل على زهاء عشرة ألف نسمة
تمر عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها وربما لم يوجد وأما مصر فخلا معظمها
وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت
مسكون أصلاً بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة زحمة من الناس حتى أن الرابع
والمساكن والدكاكين التي في سرا القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب وإن
ربما في أعمر موضع بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتاً ظاهراً خالية سوى أربعة
أبيت أسكنت من يحرس الموضع
ولم يبق لأهل المدينة وقود في تنانيرهم وأفرانهم ويوتهم إلا خشب السقوف
والابواب والزروب

ومما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين مازالوا محدودين سعدوا في دنياهم
هذه السنة فمنهم من أثرى بسبب متجره في القمح ومنهم من أثرى بسبب مال
انتقل إليه بالارث ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف . فتبارك من بيده
القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خبر النيل في هذه السنة فإنه احترق في برهودة احتراقاً كثيراً وصار
المقياس في أرض جزر وانحسر الماء عنه نحو الجزيرة وظهر في وسطه جزيرة عظيمة
طويلة ومقطعات أبنية وتغير الماء في ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف
أمره عن خضرة طحلبيية كلها تطاولت الأيام ظهرت وكثرت كالتى ظهرت في
أبيدين السنة الخالية ولم تزل الخضرة تتزايد إلى آخر شعبان ثم تناقصت إلى أن
ذهبت وبقي في الماء أخيراً نباتية منبثة فقط وطاب طعمه وريحه ثم أخذ في
رمضان تنمى وتقوى جريته إلى اليوم السادس عشر منه ففاس فيه ابن أبى الرداد
قاع البركة فكان ذراعين وأخذ في زيادة ضعيفه بأضعف من السنة الخالية ولم
يزل في زيادة ضعيفة إلى ثامن ذى القعدة وهو السابع عشر من مسرى فزاد
أصبغاً ثم وقف ثلاثة أيام فأيقن الناس بالبلاء واستسلموا للهلاكه ثم أخذ في
زيادات قوية أكثرها ذراع إلى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ
خمس عشرة ذراعاً وست عشرة أصبغاً ثم انحط من يومه وانهمز على فوره ومسر

بعض البلاد محلة القسم فكانت زارها طيف خياله في الحلم
وانما انتفع به ما كان من البلاد مطمئنا فاروى المنخفضات كالغريبة ونحوها
غير أن القرى خالية من فلاح أو حراث أصلا فهم كما قال الله تعالى « فاصبحوا
لا يرى الا مساكنهم » ، وانما أرباب الحراث يجمعون شذاذهم ويلتقون أفرادهم
وقد عز الحراث والبقر جدا حتى يباع الثور الواحد بسبعين دينارا والهزيل
بدون ذلك وكثير من البلاد ينحسر عنه الماء بغير حقه ولغير وقته اذ ليس لها
من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ربها وكثير مما روى يبور لهجز أدله
عن تقاويه والقيام عليه وكثير مما زرع أكلته الدودة وكثير مما سلم منها ضوى وعطب
ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنانير وأما يقوص والاسكندرية
فيلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه يرجى الفرج وهو المتبحر للخير بمنه وجوده .

الفصل الثالث

في حوادث سنة وثمان وتسعين وخميس مائه

ودخلت هذه السنة والاحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام
أوفى تزايد ، الى زهاء نصفها فتناقص موت الفقراء لقاتهم لا لارتفاع السبب الموجب
وتناقص أكل بنى آدم ثم انقطع خبره أصلا
وقل خطف الاطعمة من الاسواق وذلك لفناء الصعاليك وقتلهم من المدينة ،
وانحطت الاسعار حتى عاد الارب بثلثة دنانير لقلة الآطيين لا لكثرة المأكول ،
وصفت المدينة بأهلها ، واختصرت واختصر جميع ما فيها على تلك النسبة والى الناس
البلاء واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك بانه مزاج طبيعي

وحكى لي انه كان بمصر تسع مائة منسج للحصر ، فلم يبق الا خمس عشرة منسجا ،
وقس على هذا سائر ماجرت العادة أن يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين
وأساكفة وخياطين وغير ذلك من الاصناف ، فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء
الا نحو ما بقي من الحصريين أو أقل من ذلك

وأما الدجاج فهدم رأساً لولا أنه جلب منه شيء من الشام ، وحكى لي أن رجلاً مصرياً شارف الفقر فاطهم أن يشتري من الشام دجاجاً بستين ديناراً ، وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينار ، ولما وجد البيض بيع ببضعة بندرهم ثم ببضتين ثم ثلاثاً ثم أربعاً واستمر على ذلك وأما الفرايج فيبيع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعداً

وأما الأفران فأنها توقد بأخشاب الدور ، فيشتري الفران الدار بالثمن البنفسج ويقدر زروبه وأخشابه أيا ما ثم يشتري آخر ، وربما كان فيهم من تنشطه نذالته فيخرج ليلاً يحوس خلال الديار فيحتطبها ولا يجد ذاعراً

وكثيراً ما تنقفر الدار بمالكها ولا يجد لها مشترى فيفصل أخشابها وأبوابها وسائر آلاتها فيبيعها ثم يطرحها مهدومة وكذلك أيضاً يفعلون بدور الكسرا وأما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة الساسة والمقس وما تآخى ذلك فلم يبق فيها أنيس وإنما ترى مساكنهم خاوية على عروشها وكثيراً من أهلها موتى فيها . ومع ذلك فالقاهرة بالقياس إلى مصر في غاية العمارة وأهلها في غاية الذثرة وأما الضواحي وسائر البلاد فيباب رأساً ، حتى أن المسافر يسير في كل جهة أيا ما لا يصادف حيواناً إلا الرمم ما خلا البلاد الكبار كقوص واخميم والمحلة ودمياط والاسكندرية ، فإن فيها بقايا وأما ما عدا هذه وأمثالها فإن البلد الذى كان يحتوى على الوف خال أو كالحالى

وأما الأملاك ذوات الأجر المعتبرة فإن معظمها خلا أو لم يبق دأب أهلها إلا حراستها بسد أبوابها وتحصين مساكنها أو أسكنها من يحرسها بأجرة ، اللهم إلا ما كان من المالك في قصبة المدينة فإن بعضه مسكون بأخف أجرة ، وأعرف ربها في أعمر موضع بالمدينة كانت أجرته في الشهر مائة وخمسين ديناراً فعادت في هذه السنة إلى نحو عشرين ديناراً ، وآخر في مثل موضعه كانت أجرته في الشهر ستة عشر ديناراً فعادت إلى فوق الدينار وجميع ما لم نذكره على هذا القياس أفهمه والذي دخل تحت الإحصاء من الموتى ممن كف وجرى له اسم في الديوان وضمته الميضات في مدة اثنين وعشرين شهراً أولها شوال من سنة ست وتسعين

وآخرها رجب من سنة ثمان وتسعين مائة ألف نفس واحد عشر ألفاً إلا أحياناً وهذا مع كثرة نزر في جنب الذين همدوا في دارهم وفي أطراف المدينة وأصول الجيطان، وجميع ذلك نزر في جنب من هلك بمصر وما تاجمها، وجميع ذلك نزر في جنب من أكل في البلدين، وجميع ذلك نزر جداً في جنب من هلك أو أكل في سائر البلاد والنواحي والطرق وخاصة طريق الشام، فانه لم يرد أحد من ناحية فسألته عن الطرق الا ذكر أنها مزرعة بالاشلاء والرعم وهكذا ما سلكته منها ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فلملة يموت على المحراث الواحد عدة فلاحين حكى لنا ان الذين بذروا غير الذين حرثوا وكذلك الذين حصدوا وباشروا زراعة لبعض الروساء فارسل من يقوم بأمر الزراعة فجاء الخبر بموتهم أجمعين، فارسل عوضهم فمات أكثرهم، هكذا مرات في عدة جهات وسممنا من الثقات عن الاسكندرية ان الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً، وان طائفة كبيرة من أهلها تزيد على عشرين ألفاً انتقلوا الى برقة وأعمالها فعمروها وقطنوها، وهذه برقة ذات مملكة عظيمة وخربت في زمن اليازورى وعلى يديه، وكان وزيراً ظالماً فجلا عنها أهلها وسكن كثير منهم بالاسكندرية وكان هذا الحادث تقاص في الطبيعة ومن عجيب ما اتفق لشيخ من أهلباء يهود مصر بمن ينتابني سوى من سبق ذكرهم ان استدعاه رجل زبونه ذو شارة وشهرة بستر ودين وجدة، فلما حصل في المنزل أغلق الباب ووثب عليه فجعل في عنقه وهما ومررت المريض خصيته غير أنه لم تكن لها مهرفه بالقتل فطالت المناوشة وعلا ضجيجهم فتسامع الناس ودخلوا فخلصوا الشيخ مرثاً وبه رمق يسير وقد كسرت ثنيتاه وحمل الى منزله مغشياً عليه وأحضروا القاعل الى الوالى فسأله ما حملك على ما فعلت، فقال الجوع فضربه ونفاه واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو الخاءس والعشرون من بشنس ان حدثت زلزلة عظيمة اضطرب لها الناس فهبوا من مضاجعهم مدهوشين وضجوا الى الله سبحانه ولبثت مدة طويلة وكانت حركتها كالغريزة أو كحفق جناح الطائر وانقضت على ثلاث رجفات قوية مادت بها الابنية واصطفقت الابواب

وضرصرت السقوف والاشباب وتداعى من الالبية ماكان واهيا أو مشرفا عاليا
ثم عاودت في نصف نهار يوم الاثنين الا أنهم يحس بها أكثر الناس لحفاتها وقصر
زمانها وكان في هذه الليلة برد شديد يحوج الى دثار بخلاف العادة وفي نهار ذلك
اليوم تبدل بحر شديد وسموم مفرط يضيق الانفاس ويأخذ بالسكظم وقلما تحدث
زلزلة بمصر بهذه القوة

ثم أخذت الاخبار تتواتر بحدوث الزلزلة في النواحي النائية والبلاد النازحة
في تلك الساعة بعينها ولذا صبح عندي أنها حركت في ساعة واحدة طاقة من
قوص الى دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل بأسرها والشام طولا وعرضا
وتعفت بلاد كثيرة بحيث لم يبق لها أثر وهلك من الناس خلق عظيم واهم لا تحصى
ولا أعرف في الشام بلدا أحسن سلامة من القدس فانها لم تنك في الامالا بال
وكانت نكابة الزلزلة ببلاد الافرنج اكثر منها في بلاد الاسلام كثيرا

وسمعا ان الزلزلة وصلت الى اخلاط وتخومها والى جزيرة قبرس وان البحر
ارتطم ونموج وتشوهت مناظره فانفرق في مواضع وصارت فرقه كالاطواد وعادت
المراكب على الارض وقذف سمكا كثيرا على ساحلة
ووردت كتب من الشام دمشق وحماة تتضمن خبر الزلزلة ومما اتصل لى من ذلك
كتابان أوردتهما بلفظهما

نسخة الكتاب الوارد من حماه

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت
الارض تسير سيرا والجبال تمور مورا وماظن أحد من الخلق الا أنها زلزلة
الساعة وأتت دفعتين في ذلك الوقت أما الدفعة الاولى فاستمرت مقدار ساعة
أو تزيد عليها وأما الثانية فكانت دونها ولكن أشد منها وتأثر منها بعض القلاع
فأولها قلعه حماه مع اتقانها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعل بك مع
قوتها ووثقاتها ولم يرد عن البلاد الشاسقة والقلاع النازحة الى الآن ما ذكره

ثم حدث في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى
في عليها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقيام ثم حدثت في هذا اليوم أيضا
وقت صلاة العصر وصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة أفسدت فيها منارة الجامع

الشرقية واكثر الطوائف والبيمارستان جميعه وعدة مساكن تساقطت على اهلها وهلكوا
نسخة الكتاب الوارد من دمشق

المملوك ينهى حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار
الفجر واقامت مدة قال بعض اصحاب انها مقدار ماقرأ سورة الكهف وذكر
بعض المشايخ بدمشق أنه لم يشاهد مثلاً فيها تقدم ومما أثرت في البلد سقوط ست
عشرة شرقة من الجامع واحدى المسآذن وتشقق اخرى وفيه الصاحي يعني النسر
وانخساف السكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق
بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة دور

وذكر عن بلاد المسلمين أن بايناس سقط بعضها وكذلك ولم يبق بها الا
من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبين وانابلس لم يبق لها جدار قائم سوى
حارة السمرة ويذكر ان القدر سالم والحمد لله

واما بيت جن فلم يبق منه الا الاساس والجدران وقد أنى عليها الخسف وكذلك
اكثر بلاد حوران غارت لا يعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية .
ويقال ان عملة سقطت أكثرها وصدر ثلثها وغرفة خسف بها وكذلك صافينا
وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجمع منه الريباس
لاخضر فيقال ان الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتي رجل وقد
أكثر الناس في حديثها

واقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث في النهار والليل
ونسأل الله لطفه وتدبيره وهو حسبنا ونعم الوكيل

ومن عجيب ما شاهدنا ان جماعة ممن ينتابني في الطب وصلوا الى كتاب التشريح
فكان يحسر أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فاخذنا ان بالمقس تلاقيه
رسم كثيرة فخرجنا اليه فرأينا تلا من رسم له مسافة طويلة يكاد يكون تراه أقل
من الموتى به نحس ما يظهر منهم للعيان بعشرين الفاقصاعدا وهم على طبقات في
قرب العهد وبعده

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها ووضعاها
ما افادنا علما لا نستفيد من الكتب. اما انها سكنت عنها اولا في لفظها بالدلالة

عليه او يكون ما شاهدناه مخالفًا لما قيل فيها والحس اقوى دليلا من السمع فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التمحيص والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس اصدق منه

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرج ان امكن فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد اطبقوا على انه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك وقولنا الكل انما نعني به ههنا جالينوس وحده فانه هو الذى باشر التشریح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج الى لسان العرب والذى شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا واعتبرناه ماشاء الله من المرات في اشخاص كثيرة تزيد على الالف جمجمة باصناف من الاعتبارات فلم نجد الا عظما واحدا من كل وجه ثم اننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ما شاهدوه منه وحكيناه وكذلك في اشياء اخرى غير هذه وليت مكنتنا المقادير بالمساعدة ووضعنا مقالة في ذلك تحكى في ما شاهدناه وما علمنا من كتب جالينوس . ثم انى اعتبرت هذا العظم ايضا بمدافن بوضير القديمة المقدم ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق وهذا الفك الاسفل لا يوجد في جميع احواله الاقطعة واحدة واما العجز مع العجب ذكر جالينوس انه مؤلف من ستة اعظم ووجدته انا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ثم انى اعتبرته في جثة اخرى فوجدته ستة اعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته في سائر الجثث على ما قال الا في جثتين فقط فاني وجدته فيهما عظما واحدا وهو في الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما انا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل

ثم اننا دخلنا مصر فراينا منها دروبا واسواقا عظيمة كانت مغتصة بالرحام والجميع خال ليس فيه حيوان الا عابر سبيل في الاحايين وان المار فيها يستوحش ومع ذلك فقلما ينفك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة حتى خرجنا الى موضع يسمى اسكرجة فرعون فراينا الاقطار كلها مغتصة بالجثث والرمم وغلبت على الالام بحيث جللتها وكادت تغلب على تراها وراينا في هذه الاسكرجة وهي وهدة

عظيمة حين ما اشرفنا عليها الجماجم بيضا وسودا ووجدنا بعضها على بعض طبقات وقد اخفي كثيرتها وتراكمت سائر العظام حتى كأنها رموس لم يكن معها ابدان يشبهها من ينظرها ببطيخ قد قطع وجمع حتى صار كالبيدر ثم رايتها بعد ايام وقد عرقها الشمس وابيضت فشبها بيض النعام المتراكم

ولما رايت خلوتك الحارات والاسواق من الناس وامتلاء تلك الصحارى والاكام خيل الى انه سفر ارتحل فأخلى مكانا وشغل آخر هذا مع انه اى جهة نحاه القاصد صادف فيها ما حكينا واضمافه

ووجد في ذى الحجة بمصر امرأة ذهبت صدياً لتأكله فأخذت وغرقت وقد ارتفعت هذه الحال وانقطع خبرها ومشاهدتها لم يوجد سوى هذه المرأة . ومن عجيب الكائنات في هذه المدة أن مولوداً في سبع وتسعين ولد براسين وولد مولود آخر أبيض الشعر ورأيته وليس هو كيباض الشيب بل يحيل الى صهوبة ما . وولدت في هذه السنة بغلة ولدأ ميتاً وبقي في دار الوالى أياماً كثيرة وفي سنة ثمان وتسعين وجدت سخلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها كأنه خيط دقيقى وأحضرت بدار الوالى مرات وآخر ما أحضرت وعمرها أربعة أشهر

وأما خبر النيل في هذه السنة فنحن نسوفه باختصار أما أولاً فانه احترق في طوبة ثم تزايد احتراقه حتى صار مخاضات للناس والدواب وظهرت الحفرة فيه في جمادى الآخرة الكائن في برمها وتزايدت جدا في رجب حتى ظهرت في طعمه ولونه وريحه ثم تناقصت حتى ذهبت اصلا وانتهى احتراقه في رمضان وانحسر عن المقياس نحو ثمانى مائة ذراع وأطالع أبى الرداد باستقرار الماء يوم الثلاثاء لخمس بقين من بؤونة وأربع بقين من رمضان من سنة ثمان وتسعين فكان القاع ذراعاً ونصفاً وكان في السنة الحالية ذراعين وابتدأ في الزيادة في السنة الحالية من هذا اليوم فاما في هذه السنة فان زيادته تأخرت الى الخامس والعشرين من أيب لم يزد في هذه المدة سوى أصابع حتى سامت ظنون الناس وشملهم اليأس وظنوا ان حادثاً وقع بفوهته وعند مبدأ جريته ثم أخذ في الزيادة حتى انساح أيب وهو على ثلاث أذرع ووقف يومين فاشتد هلع الناس لخروجه في التوقف عن المعتاد ثم أنه اندفع بقوة وزيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة فزاد ثمانى أذرع

في مدة عشرة أيام منها ثلاث أذرع متوالية وانتهى في رابع توث وهو الثاني عشر من ذي الحجة الى ست عشرة ذراعا تنقص انسابا وقام يومين ثم اخذ ينحط متباطئا وينصرف رويدا

فهذا ما قصدت اقتصاصه من احواله هذه الكائنة فليكن آخر المقالة ومنتهى الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد النبي الامى وعلى آله الطيبين الطاهرين

كتبه مؤلفه الفقير الى الله تعالى عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي في رمضان سنة ستماية بالقاهرة

تم

